

ملاحظات على ديوان بشار بن برد

الدكتور محمد حموية

يعد ديوان بشار بن برد الذي نشره العلامة محمد الطاهر بن عاشور، رحمه الله، في القاهرة، في ثلاثة أجزاء (صدر الأول منها في سنة ١٩٥٠ والثاني في سنة ١٩٥٤، والثالث في سنة ١٩٥٧) أوفى ما وصل إلينا من شعر بشار الضائع على ما في المخطوطة التي كانت بحوزة ابن عاشور من نقص، إذ كانت إلى أثناء حرف الراء، إلا أن ما وقع في الأجزاء الثلاثة المطبوعة من تحريف وتصحيف شاعا في كل قصيدة من قصائد الديوان قد وعر السبيل إلى الإفادة التامة مما نشر.

وكان ابن عاشور قد أشار في مقدمته للديوان إلى أن المخطوطة التي كانت بحوزته كتبها ناسخ لم يكن ذا حظ كبير من العلم، فحرّف وصحف وترك بياضا في المواضع التي عسرت عليه قراءة الاصل الذي نقل منه. وهذا ظاهر من الاشارات التي أكثر ابن عاشور منها في حواشيه على أبيات الديوان مما يدل حقا على ضعف الناسخ. وقد بين ابن عاشور خطته في العمل عندما أعد الديوان للنشر فأصلح مواضع الغلط، أو رجع قراءة الكلمة على وجه يخالف ما في المخطوطة، أو ترك الكلمة كما هي إن لم يهتد إلى وجه الصواب فيها. إلا أنه وقع أيضا في أوهام في

بعض ما اختاره من قراءات ، أو في شروحه لأبيات الديوان ، وربما كان تبخره في العلوم العربية واطلاعه على الشعر العربي سببا في بعض هذه الهنات ، إذ كانت تتبادر الى ذهنه هذه المعاني الشعرية أو الوجوه اللغوية والنحوية فكان يخرج عليها أبيات بشار مما زاد الأمر صعوبة وإشكالا .

وعندما تولى الأستاذان : محمد رفعت فتح الله ومحمد شوقي أمين أمر مراجعة الديوان لطبعه ضمن مطبوعات لجنة التأليف والترجمة والنشر ، كانت مجوزتها المخطوطة الأصلية للديوان ، وكذلك النسخة التي أعدها ابن عاشور للطبع وعليها شروحه ، فأصلحا جهدها بعض المواضع ، كما وقعا في أوهام جديدة مما زاد الأمر إشكالا على أشكال .

وكان من الضروري أن ينبري الباحثون لإصلاح ما يمكن إصلاحه من هذه التحريفات والتصحيفات ، لما لبشار من المكانة في ميدان الشعر العربي ، وكان من حسن الحظ أن أستاذنا العلامة الدكتور شاعر الفحام قد نشر بعض ما لديه مما ارتأى إصلاحه في ديوان بشار في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (مج ٥٣ و ٥٤) ثم جمعت هذه الإصلاحات ونشرت في كتاب بعنوان نظرات في ديوان بشار بن برد ضمن مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، في طبعتين الأولى صادرة في سنة / ١٩٧٨ م والثانية في سنة / ١٩٨٣ م ، وهي الطبعة التي بين يدي . وقد أصلح أستاذنا تصحيفات كانت مستعصية على الحل فردها إلى الصواب ، فأصبحت الأبيات بعد ذلك مشرقة منيرة تنبئ عن نسيج أبي معاذ المحكم .

وكان أستاذنا قد أشار في مقدمة كتابه (ص ٥) إلى أن بعض الباحثين قد نشر ملاحظات على الديوان مما يتصل بإصلاح الخطأ فيه ، إلا أن الحظ لم يسعدني بالوقوف عليها .

وقد كنت قرأت هذه الاجزاء الثلاثة من ديوان بشار فجمعت ملاحظات كثيرة يتصل أغلبها بما وقع في الديوان من التصحيف والتحريف وخلل الضبط ، والشروح التي جوب فيها وجه الصواب ، فرأيت أن أكتفي ببعض هذه الملاحظات التي تتصل بالتصحيف وما اليه ، وأعرضتُ عن الكلام على الشروح الخاطئة ، وأحببت أن أضعها بين يدي المهتمين بشعر بشار عسى أن يجدوا فيها بعض النفع ، وما أزعم أني جئت بالحق الصراح الذي لا يقبل النقاش ، وما هي الا ملاحظات غلب على ظني صوابها وكان رائدي فيها شعر بشار نفسه ، إذ أنه كثيراً ما كان يكرر المعنى الواحد بتعبيرات مختلفة ، فكنت أسترشد بالصواب منها على مواضع الخطأ الذي تفتش في الكلمات ذات الحروف المتشابهة ، وقد راعيت في كل ذلك الرسم الاملائي للكلمة في الأصل المطبوع فلم أغير في صورته جهدي ، على أنني اعترف بأن كثيراً من هذه المواضع استعصى عليّ حلها فلم أهتد الى وجه الصواب فيها ، فاحتفظت بذلك لنفسي .

ومن الواضح أن هذه الملاحظات لا تحتمل الاثقال بتخريج الآيات المستشهد بها ، أو الحواشي الطويلة ، إذ أن غايتها التنبيه على مواضع الغلط ليس غير . وقد اقتفيت فيها أثر أستاذنا في نظراته فأشرت إلى ابن عاشور بالشارح وإلى محمد رفعت فتح الله ومحمد شوقي أمين بالمراجعين ، رؤوماً للاختصار وعدم التكرار .

الجزء الأول من الديوان

١ - قال بشار في أبي أيوب المكي (١ : ١٠٢) :

تجهز طال في نصب الثواء ومنتظر الثقيل عليّ داءً

والبيت مطلع قصيدة في هجاء أبي أيوب المكي . وذكر الشارح في
الحاشية :

« قال في أبي أيوب المكي ، واسمه مسلمة بن قيس كما سيأتي في
القصيدة ، وهو يلومه على عدم حفاوته به » .

ويشير الشارح إلى قول بشار من القصيدة نفسها (١ : ١٠٦) :

أوان يقول مسلمة بن قيس وليس لسيد النوكى دواء
والحق أن أبا أيوب المكي ومسلمة بن قيس رجلان لارجل واحد .

أما أبو أيوب فقد هجاه بشار لأنه لم يكرم ضيافته ، أو خيل إليه
ذلك ، فقال فيه من القصيدة نفسها (١ : ١٠٣) :

على عيني أبي أيوب مني غطاء سوف ينكشف الغطاء
جفاني اذ نزلت عليه ضيفا وللضيف الكرامة والخباء

وأبو أيوب هذا هو سليمان بن أيوب المكي ، والمعلومات عنه
شحيحة ، فقد ذكره الطبري (٨ : ١٤٠) في أحداث سنة (١٦١ هـ)
عندما عزله المهدي عن ديوان الخراج وولى غيره ، كما أن الجهشيارى
ذكره في أيام المهدي في سنة (١٦٦ هـ) في كتابه « الوزراء والكتاب »
ص (١٥٤) بمناسبة ابن له ، أقر بزندقته أمام المهدي وتاب عنها فقبل
المهدي توبته . وقد ذكر الجهشيارى في كتابه : اسمه واسم أبيه وكنيته
ونسبته إلى مكة^(١) . وعلى هذا فالرجل كان من كتاب الخراج في الدولة
العباسية . ولعل بشارا نزل عنده ضيفا أثناء ترده على بغداد ، فناله من
بشار ماناله .

وأما « مسلمة بن قيس » الذي ورد اسمه في هذه القصيدة فقد ذكره
بشار في معرض نصحه له في ألا يندفع وراء فتاة اسمها « قصاف » إذ
انتبه أهلها للعلاقة بينها ، فقال بشار على لسانه (١ : ١٠٦) :

أوانَ يقول مسلمة بن قيس وليس لسيد النوكى دواء
رويدك عن قصاف عليك عين وللمتكلف الصلف العفاء

وذلك في القسم الغزلي من القصيدة . وهذا القسم - أعني قسم
الغزل - جاء بعد هجائه أبا أيوب ، خلافا لعادة بشار والشعراء في ذلك ،
إذ المعروف أن يأتي الهجاء بعد الغزل ، ولكن بشارا اتخذ من نهي المهدي
إياه عن الغزل ذريعة لذكر تعلقه بالنساء وتعلقهن به ، على مألوف
عادته في ذكر المهدي ونهيه له عن الغزل ، ليندفع في الغزل المحبب إلى
نفسه ، وتذكر أيامه الماضية ، فقال في هذه القصيدة (١ : ١٠٤) :

ولولا القائم المهدي فينا حلبت لهن ماوسع الانساء
ثم يقول بعد ذلك (١ : ١٠٦) :

فهذا حين تبت من الجواري ومن راح به مسك وماء
وإن أك قد صحوت فرب يوم يهز الكاس رأسي والغناء

.....

أوانَ يقول مسلمة بن قيس وليس لسيد النوكى دواء
الخ

فمسلمة بن قيس صديق لبشار ، ناصح له ، مشفق عليه ، وبينه
وبين أبي أيوب فرق زمني فهو متقدم على أبي أيوب في الزمن ، وليس في

الآيات ما يدل على أنه هو ، ولست أدري كيف تبادر الى ذهن الشارح ذلك ، والآيات واضحة في أنها رجلان لارجل واحد .

٢ - قال بشار متغزلاً من قصيدة في مدح عقبة بن سلم (١ : ١٠٨) :

لاتلوما فأنها من نساء مشرفات يطرفن طرف الظباء

لم يعلق الشارح المحقق على هذا البيت شيئاً ، وذكر المراجعان في الحاشية « لعل مشرفات محرقة عن مترفات » .

ونرى أن صواب الكلمة (مشرقات) بالقاف ، يريد بذلك هجة اللون ووضاءة الوجه كما قال في هذا المعنى (٢ : ٢٢٧) :

تُدني القناع على محاسن مُشرق كالبدر يحفل عصفرا وعقودا

وكما قال (٣ : ٢٠٥) :

مشرقات الوجوه يسحبن لله — وعيوناً مكسورة بفتور

وفي البيت تصحيف سننبه عليه في كلامنا على الجزء الثالث .

وقال أيضاً (٣ : ٢٣٣) :

ظعنا من بني عقيل بن كعب مشرقات الوجوه عينا وحورا

وقد وردت كلمة (مشرقات) مصحفة في هذا البيت الى (مشرفات) أيضاً ، كما هو في البيت الذي نتكلم عليه ، وصوابه كما جاء في البيت الذي تقدم على هذا (٣ : ٢٠٥) .

وقد وصف بشار غلاماً بهذا الوصف ، فقال (١ : ٣٧٠) :

يهذي بخشف مؤنق مشرق مقابل الجدين منسوب

ووصف امرأة فقال (٣ : ٣٠) :

تريك أسيل الحد أشرق لسونه كشمس الضحى وافت مع الطلق أسعدا

٣ - وقال بشار (١ : ١٠٨) :

أنت باعدته فأمسى من الشوق صريعاً كأنه في الفضاء

الصريع لا يكون في الفضاء ، والصواب (القضاء) بالقاف ، ويريد
بالقضاء الموت كما قال (١ : ١٢٩) :

تزل القوافي عن لساني كأنها حبات الافاعي ريقهن قضاء

ولعل سبب اختيار الشارح لكلمة القضاء - ان لم يكن في الأمر
خطأ مطبعي - ما بقي في ذاكرته من معنى الآية الكريمة : (ومن يرد
أن يضلّه يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء) [سورة
الأنعام ، آية ١٢٥] وليس هذا ما أراده بشار ، إذ أنه استعمل القضاء بمعنى
الفرج في مقابل الضيق في قوله : (١ : ١٢٦) :

إذا سمرت طاب النعيم بوجهها وشبه لي أن المضيّق قضاء

(في الديوان أسمرت ، والتصحيح من « نظرات » ص ٥٣) .

٤ - وقال بشار (١ : ١١٢) :

قد كساني خزا وأخدمني الحور وخالاً بنيتي في الحلاء

لامعنى (خلاً) هاهنا ، وحقها أن تكتب (خلى) ، والصواب فيها
(خلى) بالحاء المهملة أي حلاها بالحلي .

٥ - (١ : ١١٣) :

ويقول الوشاة أحببت سعدى صدقوا والجليل حي عياء

قد يوصف الحب بأنه (داء عياء) ولكن الأرجح ماورد على لسان
الشاعر في وصف حبه بأنه عناء ، في قوله (٣ : ١٦٢) :

كأنني من عناء الحب في سنة مطرح بين إقبال وإدبار
وفي قوله (١ : ١٠٨) :

وأعينا امرأ جفا وده الحي وأمسى من الهوى في عناء

٦ - قال بشار من قصيدة تغزل فيها بعبدة (١ : ١١٦) :

من بنات الملوك لا نماها الى العلاء العلاء

قال الشارح في هذا البيت (وفيه بياض بعد قوله لا) :

(«نماها الى العلاء العلاء» معناه نسبها الى الرفعة أبوها المسمى بالعلاء ،
فاكتسبت من اسم ابيها علوا اذ هي ابنة العلاء ، وهذا يدل على أن عبدة
ابنة رجل اسمه العلاء) .

وقد ذكر هذا أيضا في (ص ١١٥) عندما عرّف بعبدة - لأن
القصيدة التي منها هذا البيت هي أول قصيدة - بحسب ترتيب الديوان -
في التغزل بعبدة - ومن عادة الشارح أن يعرّف في القصيدة الأولى
بالرجل الذي يمدحه الشاعر أو الفتاة التي يتغزل بها فاستظهر هناك
(ص ١١٥) أن يكون اسم أبي عبدة العلاء . واستظهاره هذا ناشئ من
التسرع ، لأن الأبيات التي ورد فيها ذكره هذه الفتاة (١ : ١١٦) ابتداء
من قوله :

وجوار إذا تحلّين لم تد رأشاء في حليها أم نساء

الى قوله :

ضامهن الذي تمنين شغلي بفتاة منها التقى والحياء
 في فتاة غير عبدة ، وذلك أن الجواري اللواتي ذكرهن ، قد تعرض
 له - يوم سلوان - بفتاة من بنات الملوك ، وهي ابنة العلاء ، جميلة ،
 تنطوي له على حب ، ورحن يدعونه اليها ، فأعرض عنها لأنه مشغول
 بعبدة عما سواها . فابنة العلاء هي غير عبدة ، وهذا واضح لمن تأمل
 الأبيات .
 ٧ - (١ : ١١٧) :

هي كالشمس في الجلاء وكالبد ر اذا قنعت عليها الرداء
 ضبطت الجيم من (الجلاء) بالفتح ، والصواب أن تضبط بالكسر ،
 لأن معنى الجلاء بالفتح الخروج من بلد الى بلد ، وذلك ليس مرادا ،
 وأما الجلاء بكسر الجيم فهو صقل المرأة والسيف وجلوة العروس ، وهو
 المراد هنا .
 ٨ - (١ : ١١٧) :

فخمة فعمة برود الثنايا صعلة الجيد عادة غيداء
 ذكر الشارح أن المراد بصعلة الجيد أنها دقيقة العنق . والصعل دقة
 في العنق والرأس معا ، ويوصف به النعام ، ولا يأتي في وصف الناس الا
 في مقام الذم . ولا معنى لوصف المرأة الجميلة بدقة العنق ، والصواب في
 ذلك « صلته الجيد » وهو ما توصف به المرأة الجميلة . قال الحادرة وذكر
 عنق امرأة :

وتصدفت حتى استبتك بواضح صلت كمنتصب الغزال الأتلع
 وربما كانت كلمة الجيد مصحفة عن الخد ، اذ أن ناسخ هذه

المخطوطة قد يرتكب مثل هذه التصحيفات . وقد جاء عن العرب وصف الخد أيضاً بذلك . قال المرار بن منقذ :

صلت الخد طويل جيدها ناهد الثدي ولما ينكسر
كما أن بشاراً وصف غلاماً فقال (١ : ١١٢) :

وحباني به أغر طويل الباع صلت الخدين غض الفتاء

٩ - وقال بشار في هجاء أبي هشام الباهلي (١ : ١٢٠) :

تشاغل أكل التمر انتجاعاً وتكدي حين يسمعك الرعاء

والصواب ضبط (يسمعك) (يسمعك) من (أسمع) لامن
(سمع) . يريد أن أبا هشام يخرج إلى الكدية مبكراً حالماً يسمع صوت
الرعاة ، وهم ، عادة ، يخرجون مبكرين إلى المراعي .

ومن وصية أبي زيد السروجي لابنه من المقامة الساسانية يحضه فيها
على التبكير في الكدية « فكن أجول من قطرب وأسرى من جندب » .

١٠ - وقال بشار يهجو يحيى بن صالح (١ : ١٢٢) :

أحين طلّت علي من قال قافية وطال شعري بحي بعد أحياء

ذكر المراجعان أن الشارح ضبط التاء من قوله (طلّت) بالفتح
على أنها للمخاطب بينما كانت في المخطوطة بضم التاء للمتكلم ، ولم يعلقا
على ذلك شيئاً . والصواب ما جاء في المخطوطة إذ لم يكن ليحيى بن
صالح من شعر سائر بين الناس ، وهذا المعنى مما يصف به الشاعر نفسه
عندما يتوعد خصمه فيقول : أتعاذيني وقد اشتهرت وشاع ذكري وشعري
بين الناس ، ولذلك قال في الشطر الثاني (طال شعري) وهو المناسب

لتاء المتكلم في الشطر الأول ، والبيت الذي يليه في القصيدة يوضح صواب ما في المخطوطة أيضا⁽²⁾ .

١١ - قال بشار ، وذكر حماد عجرد ، في ضمن هجائه يحيى بن صالح (١ : ١٢٤) :

قد سبّح الناس من وسمي أبا عمر فهل ربعت على تسييح قرء
وحامد عجرد هو أبو عمر . وقد تعرض الشارح لتبيين معنى البيت بما لا يتبين ولا يتوضح فقال : « والمعنى هنا فهل رحمت لابتهاج الناس وتسييحهم حتى هجوت انا أبا عمر فلذلك غضبت له » .

وأما المراجعان فقد وفقا في فهم معنى البيت ، وأن التسييح هاهنا يدل على التعجب ، ولكنها عدلا عن ضبط قرء بضم القاف كما ضبطها الشارح الى ضبطها بفتح القاف كما جاء في المخطوطة . ونرى أن الصواب أن تضبط بضم القاف كما ضبطها الشارح المحقق ، لان (القراء) بفتح القاف الحسن القراءة ، وأما (القراء) بضم القاف فهو الناسك المتعبد والجمع قراؤون وقوارئ⁽³⁾ ، والمعنى على هذا ، (أي الناسك لا الحسن القراءة) .

وقال بشار في مثل معنى الشطر الثاني (١ : ٢٠٦) :

ولو شئت تمتعنا ولو سبّح « يعقوب »

يريد لو رضيت بوصولنا لمتعنا ، وان تعجب من ذلك « يعقوب »

وأنكره .

١٢ - قال بشار في هجاء من يدعى بشرا (١ : ١٢٥) :

منيتي بشرا وبشر فتى لا يشتري الحمد بإعطاء

ضبطت التاء من (منيتني) بالفتح على أنها للمخاطب المذكر ،
ونرى أن الصواب كسرهما خطاباً لاثني ، على عادة العرب في ذكر نسائهم
عند الاستعطاء .

١٣ - وقال بشار هاجيا (١ : ١٣٠) :

وان تعلت الى زلّة أكلت في سبعة أمعاء

قال الشارح رحمه الله في تفسير هذا البيت « التعلل التشاغل أو
التلهي بأمر ، وعداه هنا بالي لأنه ضمنه معنى الميل ، وقوله : « أكلت في
سبعة أمعاء » كناية عن الكفر ، لما ورد في الحديث الصحيح : الكافر
يأكل في سبعة أمعاء ، أي اذا زللت عن غفلة كفرتني » . ا هـ .

ولم يعلق المراجعان على هذا الشرح والضبط الا بقولهما « ربما كانت
التاء في تعلت وأكلت للمخاطب » ولاندري أكانا يريدان - بقولهما هذا -
ان التاء كانت مفتوحة في المخطوطة أم أن السياق يقتضي ذلك ، كما هو
واضح من الأبيات لانها في الهجاء . والصواب أن تضبط التاء من
« تعلت وأكلت » بالفتح في كليهما ، لأن الشارح رحمه الله ، تأول الكلام
تأولا بعيدا عن الصواب ، لأن الزلة هنا ليس المراد بها الزلل والخطأ وإنما
المراد بها (الولية) فهو يقول لمهجوّه : اذا كنت في وليمة أكلت في سبعة
أمعاء (كما هو حال الكافر) . وقد جاءت كلمة (الزلة) في شعر بشار
مرادا بها (الولية) في مقام الهجاء أيضا . كما جاء في هجاء حماد عجرد
(٣ : ١٢٣) :

وان جئت يوما الى زلة أكلت كما يأكل القرهد

وفسرت (الزلة) هناك بالعرس .

١٤ - قال بشار هاجيا (١ : ١٣١) :

كأنا عاينت بي عائفا أزرق من أهل حروراء

قال الشارح في معنى البيت « أراد بالعائف الكاره العادي ، على سبيل المجاز ، ووصفه بالأزرق مبالغة في عداوته للناس ، فان الأزرق من الأوصاف الغالبة اتباعا للعدو . قال الحريري « حتى رثى لي العدو الأزرق » أو أراد به الواحد من الأزارقة وأهل حروراء هم الخوارج الذين خرجوا عن علي رضي الله عنه بحروراء ، ناحية من نواحي الكوفة » الخ مقال .

ونرى أن الصواب في قوله (عائفا) (عائنا) أي يصيب الناس بالعين (اللسان : عين) . وأما قوله (أزرق) فإنه يريد به زرقة العين ، وهي في اعتقادهم أشد ضرا ، وقد ذكر بشار هذا المعنى في قوله (٢ : ١١٤) :

تراخت في النعيم فلم تنلها حواسد أعين الزرق القباح

وزرقة العين نادرة في العرب ، مكروهة عندهم ، وإذا ما أرادوا نفي انسان من العرب وصفوه بها . قال ذو الرمة يهجو حياً من تميم يدعى (امرأ القيس) :

ان امرأ القيس هم الأنباط زرق اذا لاقيتهم سنباط

وهذا معنى قول بشار : (من أهل حروراء) يريد عائنا أزرق العين غير عربي ، وهو هاهنا من أهل حروراء وهم نبط لاعرب ، ولا يريد بهم الخوارج ، وان كانت نسبتهم « الحرورية » اليها ، لأنهم عرب اقحاح .

١٥ - قال بشار من أرجوزة يمدح بها « عقبة بن سلم » (١ : ١٤١) :

حور العيون نزه الاحباب

في وصف نسوة . ولم يشرح المحقق من البيت شيئاً ، وإنما شرح المراجعان قوله « نزه » ونرى أن الاحباب تصحيف (الأحياب) مفرد (الجيب) يريد أنهم جميلات عفيفات ، كما يقال : فلان ناصح الجيب ، من ذكر اللباس وإرادة اللباس (نظرات ص ٥٦) .

١٦ - ومن الأرجوزة نفسها قوله في عقبه (١ : ١٤٢) :

وأنت شغاب على الشغاب
للخطبة الفقهاء آب آب
من ذي حروب ثاقب الشهاب

قال الشارح في قوله : من ذي حروب بيان للشغاب ... الخ ما قال . والصواب « مردى حروب » والأصل في المردى أنه حجر يرمى به ، ويوصف به الرجل الشجاع فيقال « مردى حروب » ويبت بشار تضمنه بيت الأعشى الباهلي في رثاء (المنتشر بن وهب الباهلي) من قصيدته الرائية المشهورة (خزنة البغدادي ١ : ٩٤) :

مردى حروب ونور يستضاء به
كما اضاء سواد الظلمة القمر

وقال عوف بن عطية (المفضلية : ٩٥) :

ألم تر أننا مردى حروب نسيل كأننا دفاع بحر
وقال العجاج (ديوانه : ج ١ ص ١٢١) :

لما رأوا منا ايادا سامكا مردى حروب يفرج اللكائكا

١٧ - ومن الأرجوزة نفسها قوله (١ : ١٤٤) :

اني من الحبس على اكتئاب

فاحسم تيبيا أو تنيل ما بي
ولا يكن حظي انتظار الباب

في قوله (فاحسم تيبيا أو تنيل ما بي) أعوص تصحيف وأغمضه في
الديوان كله ، لأنه ليس في اللفظ ما يرشد الى معناه .
وقد قال فيه الشارح : « تيبيا أصلها تتيبيا أي تتبين أو يقال بيباك
الله أي قربك اليه وأنعمك » .
والصواب فيه : فاحسم بتيّا أو بتيك ما بي .

و « تياوتيك » اما اشارة ، ولا بد من شرح المعنى حتى يتضح
المراد ، وتلخيص المعنى المراد هنا ان بشارا يستنجز (عقبته) وعداً
بالعطاء ، ولكنه أطال حبسه (مكثه) على بابيه دون انجاز ، فتضايق
بشار من هذا المطل فطلب من ممدوحه أن يحسم الامر اما بنعم واما بلا
« فتياوتيك » اشارتان الى « نعم ولا » ، وقد استعمل بشار هذا المعنى
بهذين اللفظين في شعره فقال (٣ : ١١٩) :

صدق البخیل يسرني ويسوؤني كذب الجواد
اني لانجز ما وعدت ت على الطريف وفي التلاد
واذا سئلت آتيتها ضرب الأمير طلا الاعادي
اما بتيا أو بتي - - ك وراحة ترك الكداد

وقد فسر الشارح قوله هنا (تياوتيك) ، بعد ان بين انها اما
اشارة ، بالصغيرة والكبيرة (من العطاء) وليس هذا وجه المعنى ، وانما
هو في بيته وفي الرجز معناه (نعم أو لا) أي : اما أن أمنع منعا ظاهرا
فأقول لا واما ان اقول نعم فأنجز فورا ما وعدت ، ولا أترك المجتدي بين
لا ونعم يغدو ويروح فلا يدري أيعطى أم يمنع . وقد بين بشار هذا

المعنى (أي المنع أو العطاء) وليس القليل والكثير ، كما ذهب الى ذلك الشارح ، في قوله من قصيدته الدالية المتقدمة :

ياصاح لاتلو العدا تِ فانها دين الهوادي
ان السبيل على اثنتي --- - - - ن اخترها يابن الجياد
اما تسامح أو تجا مح ليس ثالثة لعاد
يكفيك (لا) طول العيا د و (لا) اجتهادا من مناد

فهو يقول : ليس لمن يقصد الا احدى اثنتين : اما (نعم) وهي معنى قوله « تسامح » واما (لا) وهي معنى قوله (تجامح) وليس من كلمة ثالثة للعادة ، فان أردت المنع فقل (لا) رافعا بها صوتك حتى تكفى طول معاودة الطالب لك (في أصل الديوان العباد ، بياء موحدة ، واصلحناها الى العياد وهي المعاودة وهو المعنى الصحيح) وقد وضعنا كلمة (لا) بين قوسين حتى يظهر معناها للقارئ⁽⁴⁾ .

ولذلك قال في البيت الثاني من هذه القصيدة (٣ : ١١٨) :

صرح باحدى كلمتي --- - - ن وخذ أمانك من جهادي⁽⁵⁾

وقد أفرد البحري بابا لهذا المعنى في حماسته ، وهو الباب الخامس

والثانون ومنه قول هرم بن غنام السلوي :

اذا قلت في شيء نعم فأتته فان نعم دين على الحر واجب
والا فقل لا واسترح وأرح بها لكيلا يقول الناس انك كاذب

١٨ - وقال بشار (١ : ١٤٦) :

شان مجدود ومن جده كالكعب ان ترحل به يرتب

كتب الشارح في حاشية البيت : قوله كالكعب لعله تحريف صوابه

كالكلب ، ولم يشرح هذا المعنى الذي ذهب اليه ، وانتبه المراجعان الى أن الكلمة صحيحة لان رتب تقال للكعب لا الكلب . يقال : رتب الكعب رتوبا اذا انتصب ، والكعب يلعب به في المقامرة⁽⁶⁾ . قال الأجدع الهمداني (السمط ج ١ ص ١٠٩) :

وكان صرعاها كعاب مقامر ضربت على شزن فهن شواع

وقد أدرك المراجعان معنى البيت على ما فيه ، ولكنها وهما في معنى الشطر الثاني اذ قالوا : « وحظوظ الدنيا مثل الكعاب فمن الناس محظوظ فائز ومنهم من يقف الكعب دون فوزه ولو أكثر اجالته ورميه » .

ونرى أن قول بشار (محدود) من الجدد وهو القطع وهو بمعنى (المحدود) بالحاء المهملة ، إن لم تكن محرفة عنها . أي من الناس من هو محروم ومنهم محظوظ لو رمى بكعب لوقف وثبت - ووقوف الكعب وثباته واقفا علامة الفوز لا الخسارة اذ قلما يقف الكعب - فان توالى ذلك أي وقوف الكعب دل على حظ صاحبه . وبناء على هذا فان قوله (ترحل به) لا معنى له صوابه (ترحل به) يقال (زجل به) اذا دفعه ، والكعب يزجل به أي يدفع .

١٩ - وقال بشار (١ : ١٤٧) :

مكية تبدو اذا مابت بالميث من نعمان أو مغرب

ضبط المراجعان كلمة (نعمان) بفتح النون كما وردت في المخطوطة ، وكان الشارح قد ضبطها بالضم ، وهو واد بين مكة والطائف . وضبط (نعمان) بفتح النون هو الصواب⁽⁷⁾ . وأما (مغرب) بضبط الكلمة على وزن الجهة فلا يصح هنا ، اذ ليست الجهة مرادة ، والصواب ضبطها بضم الميم ، لأن (مغرب) واد أيضا قرب مكة (معجم ما استعجم : « مغرب »

وانظر حالته الى مادة يا جج) .

٢٠ - وقال بشار يمدح يزيد بن عمر بن هبيرة (١ : ١٤٩) :

زين سرير الملك في المغتدى وغرة الموكب في الموكب
كأن مبعوثاً على بابه يدني ويقصي ناقدا يجتبي

لم يعلق الشارح والمراجعان على البيتين بشيء .

والصواب في قوله (المغتدى) (المنتدى) وهو مجلس القوم . يريد
أن ممدوحه يزين سرير الملك في حَضْرَه ، كما أنه يزين الموكب في سفره
(للحرب أو غير ذلك) . وقد كرر بشار المطابقة بين الإقامة والمسير في
أبيات كثيرة فنما قوله (١ : ٢٧٨) :

ضْرَابُ أعْناقِ وفكّاهَا في مجلس الملك وظل العقاب

ومنها قوله (٣ : ٨٢) :

إمامٌ يحْيَا في الحجاب وتارة رئيسٌ خميسٍ تحت ظل المطاردِ

وقوله (١ : ٢٣٣) :

أغرأبلج تكفينا مشاهده في القاعدين وفي الهيجا اذا ركبوا

وأما البيت الثاني فان (مبعوثا) ان لم يكن مصحفا فهو اسم
الحاجب ، وهو اسم كأن في البيت وخبره (ناقد) في الشطر الثاني من
البيت ، وحقه الرفع كما ترى . يريد بشار أن مبعوثا الحاجب في ادخاله
بعض الناس الى الممدوح واقصائه بعضهم كالصيرفي الذي يقبل الدراهم
الجياذ ويرد الزائف منها ، ف ضرب الدراهم مثلا للرجال ، والناقد هو
الصيرفي . قال جرير في الفرزدق :
فلا تقبلوا ضرب الفرزدق انه هو الزيف ينفي ضربه كل ناقد

٢١ - وقال بشار في مدح يزيد بن عمر بن هبيرة (١ : ١٥٠) :

دأبتُ حتى جئتُه زائراً ثم تعنيت ولم أدأبِ

لم يتكلم الشارح على البيت بشيء ، وفسر المراجعان قوله (تعنيت) بأنه هنا بمعنى (قصدت) . وهذا لا يستقيم مع المعنى ، إذ المعنى أنه استغنى عن الدأب والطلب عند وصوله الى الممدوح ، فالصواب في قوله (تعنيت) (تعنيت) بالغين المعجمة ، أي مكثت وأقمت وهو أحد معاني هذه الكلمة أو استغنيت وهو من معانيها أيضا .

٢٢ - وقال بشار يمدح ابن هبيرة من القصيدة المتقدمة (١ : ١٥٢) :

خرجن من سوداء في غرة يردين أمثال القنا الشرب

لم يشر الشارح والمراجعان الى كلمتي (سوداء) و (غرة) و (سوداء) و (غرة) مصحفتان عن (سورا) و (غزة) وهما موضعان قرب (عين التمر) جرت فيها وقائع لابن هبيرة مع الخوارج . قال مسلم حاجب يزيد بن عمر بن هبيرة يمدحه ويذكر قتله الخوارج هناك (الطبري ٧ / ٣٢٨ في أحداث سنة ١٢٧) :

أرت للمثنى يوم غزة حتفه وأذرت عزيرا بين تلك الجنادل
وعمرا أزارته المنية بعدما أطافت بمنصور كفات الجبائل
(عزير : هكذا ورد في هذا الشعر براء مهملة وفي المتن بالزاي) .

٢٣ - وقال بشار من القصيدة نفسها في مدح ابن هبيرة (١ : ١٥٣) :

ولو ترى الأزدي في جمعه كان كضليل بني تغلب
أيام يهزرن اليه الردى بكل ماضي النصل والثعلب
حتى اذا قرَّبَه حينُه منها ولولا الحين لم يقرب
خاض ابن جمهور ولو رامها مطاعن الأسد على المشرب

الكلام على البيت الأخير منها ، ولا يتضح الكلام الا بايراد الأبيات المتقدمة عليه .

ذكر الشارح أن المراد بالأزدي في هذه الأبيات هو المختار بن عوف الأزدي الخارجي وأراد بالضليل امرأ القيس الشاعر المعروف لأن بني تغلب اخواله - وهذا لا يصح لأن امرأ القيس لم يعرف بهذا اللقب - وإنما يشير الشاعر الى عدد من الخوارج ، ولعله أراد عبدة بن سوار التغلبي الذي قاتله ابن هبيرة عام (١٢٧) هـ وهو أحد رؤساء الخوارج .

وقد أكثر الشارح في هذه الأبيات من حذف الجواب في هذه الأبيات وخلاصة ما قال : جواب اذا في البيت الثالث محذوف تقديره : قتل بأدنى وقعة ، وجواب لو في البيت الرابع محذوف والتقدير : لخاض اليه وظفر به .

ثم انه جعل فاعل (خاض) في البيت الرابع ضميراً يعود على جيش المدحوق أو على المدحوق نفسه ، وابن جمهور مفعول والتقدير : خاض قتال ابن جمهور . وأما مطاعن الأسد فقد ذكر عددا من الرجال الذين يمكن ان يطلق عليهم لقب (مطاعن الاسد) وكل هذا الذي أطال به هو من ثمار التصحيف اذ الصواب في البيت الرابع :

جاض ابنُ جمهور ولو رامها لطاعن الأسد على المشرب

وجاض معناها عدل ونكل عن القتال^(٨) . وكانت هذه عادة منصور الذي كان يفر من وقعة الى وقعة ، يريد ان الحرب قضت على الأزدي كما قضت من قبله على ضليل بني تغلب وكان ذلك مقدرًا على الأزدي ، ولو لم يكن قدرا لما قاتل المدحوق ، واما ابن جمهور - وهو منصور - فقد

انهزم ، ولو رام القتال لقاتل الأسود . وهذا واضح من أبيات مسلم حاجب يزيد المتقدمة في (٢٢) في اقتراب منصور من الموت وفراره منه ، وكان منصور بن جمهور فرارا ، انتهى به فراره الى السند ومات هناك .

٢٤ - وقال من القصيدة نفسها (١ : ١٥٤) :

هناك عاد الدين مستقبلا وانتصب الدين على المنصب

كسر الشارح الباء من مستقبلا ، وفسر ذلك بأنه من قولهم :

أمر مقبل وأمر في اقبال ومستقبل (بكسر الباء) اذا حسنت حاله .
ونرى أن الصواب فتح الباء بمعنى (مستأنفا) أي جديدا ، أي عاد الدين جديدا بعد القضاء على الخوارج .

وهذا معنى معروف ذكره الشعراء فمن ذلك قول يحيى بن محمد

الاسلمي (الطبري ٩ : ٦٦٣ في احداث سنة ٢٧٠ هـ) :

تفرد اذ لم ينصر الله ناصرا بتجديد دين كان أصبح باليا

وقول يحيى بن خالد (الطبري ٩ : ٦٦٤ في أحداث ٢٧٠ هـ) :

ملك أعاد الدين بعد دروسه واستنقذ الاسرى من الاغلال

٢٥ - ومن القصيدة نفسها (١ : ١٥٥) :

وعاقد التاج على رأسه يبرق والبيضة كالكوكب

في أبيات ... الى قوله : أنهاك عن عاص عدا طوره ...

ضبط الشارح (عاقد) بالرفع وجعل الواو لعطف الجملة ، ظنا منه

أن الأبيات في مدح ابن هبيرة ، وهي ليست في مدحه ، وإنما هي في

وصف عدو متخيّل ، عظّم بشار من أمره ثم حذره من الممدوح ، وهي عادة معروفة لشعراء العرب ، فحق الواو أن تكون واو رب وعاقده مجرور بها ، أي ورب عاقده تاجه من شأنه كذا وكذا قلت له لا تقرب الممدوح وانهاك عن محاربتة لأنه لا يقهر .

٢٦ - وقال من القصيدة المتقدمة في مدح ابن هبيرة (١ : ١٥٦) :

ان الالى كانوا على سخطه من بين مندوب ومستندب
لما دنا منزله أطرقوا اطراقة الطير لذي الخلب

لم يعلق الشارح على البيتين بشيء ، وتولى المراجعان ذلك فقالا : المراد بسخطه : كراهته والغضب عليه . والصواب (شخطه) أي بعده يريد أن أعداء ابن هبيرة كانوا يتنادبون للقتال ، وهو بعيد ، فلما دنا منهم أطرقوا وذلوا .

٢٧ - وقال بشار (١ : ١٥٧) :

وربما رايني النذير فعميد - - ت رجاء الاصم عن ريبه

النذير مصحفة عن (الندي) ويريد به من يجالسه . ومعنى البيت : اذا رايني مجالسي تعاميت عنه حتى يرعوي . وقد قال من القصيدة نفسها (١ : ١٥٩) :

يخرجن من فيه للندي كما يخرج ضوء السراج من لهبه

(في البيت تحريف آخر لم أهدأ الى وجهه) .

٢٨ - وقال بشار يفخر بنفسه (١ : ١٦١) :

حتى اذا درت الدرور له ورغشته الرواة في نسبه

قال الشارح في رغبته « أرضعته ، والنسب هنا مصدر نسب بفتح السين بالمرأة أي شبب بها في شعره : . والمعنى على هذا حتى اذا درت الدرور له (وهي الناقة الغزيرة اللبن) وأرضعته الرواة في تشبيهه بالنساء ، وهو كلام لا يتحصل منه معنى ، والصواب : ورعّته الرواة في نسبه . والرواة هنا المراد بهم أهل الأدب وترعيثه أنهم أشادوا به في لقبه (المرعّث) وهو لقب بشار ونسبه يريد به نسبه ولقبه - كما قال عن نفسه (١ : ١٢٣) :

أنا المرعّث لأخفى على أحد ذرّت بي الشمس للداني وللنائي

للبحث صلة